

النقد اللغوي عند عبد الله بن سلام الجمحي

د. غري بكاوي
المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي

مقدمة:

لا شك أن النقد كان ملازماً للفكر الإنساني منذ وجوده على ظهر الأرض فالعقل البشري في سعي دائم ومستمر إلى اكتساب مزيد من العلم المعرفة، وكلما اكتشف جديداً نظر إلى القديم نظرة نقد وتمحيص ليبين ما فيها من عيوب ونقائص، والمنتوج الأدبي من شعر ونثر وخطابة لم يخرج عن هذا، فكان كل من الشاعر والأديب والمفكر يحاول إخراج ما أبدعه في أحسن حلة وأبهى صورة وإذا ما بدا له ما ينقص من إبداعه هذا عاد إليه بالتنقيح والتصحيح، وفي كثير من الأحيان كان المبدع لا يرى عيوب نفسه فكان غيره ينبهه على ذلك من الشعراء أو النقاد أو من له دراية بنوع الفن الذي يكتب فيه، وقد أجمعت الروايات التاريخية على أن أول عمل قام به علماء العربية لحماية من اللحن هو وضع علامات الإعراب من ضم وفتح وكسر من طرف أبي الأسود الدؤلي، ووضع نقط الإجماع من طرف نصر بن عاصم الليثي، ثم تواصلت جهود العلماء فقاموا بجمع اللغة - شعر ونثر - واختلف البصريون مع الكوفيين في ذلك فالبصريون حددوا قبائل معينة لاعتقادهم أنها القبائل التي لا تزال تحافظ على فصاحتها، بينما أخذ الكوفيون من جميع القبائل فكانت المادة اللغوية عندهم أوفر وأكثر وبعد عملية الجمع والتدوين قام العلماء بتصنيف المادة اللغوية ثم استنباط القواعد منها، فعلمهم بدأ وصفاً وانتهى معيارياً، أي أن هذه القواعد التي قعدوها كانت معياراً يزنون به كل مسموع فما كان موافقاً لهذه القواعد فهو صحيح ومقبول عندهم وما خالفها فهو خطأ في نظرهم، وينبغي على الشاعر أو الأديب أو غيره من الناطقين بالعربية أن يبني كلامه وفق هذه الأسس والمعايير وهم بهذا يمارسون عملية نقد لغوية مركزة في ذلك على التوضيف الصحيح للمفردات والتراكيب ناسين بذلك أو متناسين خيال الشاعر " فالنقاد اللغوي كان لا يعني بجو القصيدة وخيال الشاعر قدر عنايته بلغته ومتابعته مواطن

أخطائه والتحقق من صحة استعماله في اللغة والنحو الصرف" (1)

فوقع الصدام بين الفريقين فالنحاة يرون أنهم حراس على اللغة وأمناء عليها والأدباء والشعراء يرون أن اللغة أوسع وأكبر من أن تُضيق بقواعد وقوانين جامدة.

مفهوم النقد: تستعمل كلمة نقد بمعنى العيب ومنه حديث أبي الدرداء " إن نقدت الناس نقدوك إن تركتهم تركوك، أي إن عبتهم، وتستعمل بمعنى أوسع وهو تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبح وهو يتفق مع اشتقاق الكلمة فإن أصلها من نقد الدراهم لمعرفة جودها من رديتها، فمعنى النقد هنا استعراض القطع الأدبية لمعرفة محاسنها ومساوئها" (2)

والنقد هو تخلص جيد الشعر من رديته يتضح ذلك من قول قدامة بن جعفر "ت327هـ" في مقدمة كتابه نقد الشعر مبينا سبب تأليفه كتابه "نقد الشعر:" ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخلص جوده من رديته كتاباً" (3)

والنقد اللغوي: هو الذي يحكم فيه على أساس اللغة وقواعدها الأسلوبية واللغوية المقررة.

النقد قبل ابن سلام الجمحي:

كان علماء العربية يمارسون النقد اللغوي قبل أن تتعد القواعد وتوضع الضوابط والحدود وميزانهم في ذلك موافقة العربية من جانب الصوت والتركيب والدلالة، وكان هناك تفاوت بينهم كل حسب طبيعته وتكوينه، وما أوتي من علم ومعرفة وثقافة بالمجال الذي يمارس فيه النقد، ومن هؤلاء نذكر: عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي البصري - ت 117هـ - الذي كان مولى لآل الحضرمي: أخذ العلم عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر سئل عنه يونس بن حبيب قال: هو والنحو سواء أي الغاية، كان أول من علل النحو، وكان يتتبع الشعراء ويسألهم عن مخالفتهم لسنن

تعالى: "أمسك عليك زوجك" فقيل له: إن الشاعر ذا الرثمة يقول:

أدو زوجة بالمرص أم ذو خصومة أراك لها في البصرة اليوم ثاويًا
فقال ذو الرثمة ليس بحجة إذ طالما أكل البقل والمالح في
حوانيت البقالين⁽⁷⁾ وقد اكتسب ملكة في نقد الشعر وتقريضه
نتيجة لكثرة ما حفظ من الشعر على اختلاف ألوانه وأنواعه حتى
صار إذا سمع شيئاً منه عرف صحيحه من خطئه، قال عن نفسه
أحفظ ست عشرة آلاف أرجوزة، ويقال كان الرشيد يُسميه
شيطان الشعر⁽⁸⁾ لعلمه بأسراره ودقائقه وكان يحاول معرفة
ما يتعلق بالشعر من روايات وأخبار والمناسبة التي قيل فيها فإن
لم يجد اكتفى بذكر اسم الشاعر ومناسبة الأبيات أو القصيدة،
وهذا يساعده في نسبة القول لصاحبه وفهم مدلوله، وقد جاء
في إحدى الروايات أنه سُئل يوماً عن معنى قول الحنساء في
رثاء أخيها صخر:

يُذَكِّرُني طُلُوعُ الشَّمْسِ صَغْراً وأذكره لكل غروب شمس
فقالوا: معنى ذلك أنها تذكره صباح مساء، قال لا ولكنها
أرادت بقولها هذا أنها كانت تذكر أخيها صخرًا عند طلوع الشمس
وقت الغارة والغزو لأنه كان من الفرسان، وتذكره عند غروبها
وقت القرى وإطعام الضيف لأنه من الأجواد، فقاموا وقبولوا
يده⁽⁹⁾.

ومن العلماء الذين كان لهم دور في نقد الشعر أبو عمر بن
العلاء ت 154هـ قال عنه أبو الطيب اللغوي في مراتب النحويين
"كان سيد الناس أعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب"⁽¹⁰⁾
وفي نقده ملاحظات ذات طابع نحوي تتعلق بالتوظيف
الصحيح لبنى الكلام حيث عاب على ذي الرثمة إدخاله "إلاً"
بعد ما ينفك في قوله:

حرايج ما تنفك إلا مناخة على الحسف أو ترمي بها بلداً قفراً
لأن "إلاً" لا تدخل مع "ما ينفك وما يزال"، و"ما" مع هذه
الحروف خبر وليست بجحد في رأي أحمد بن يحيى، وفي رأي
الأصمعي "ما" جحد و"إلاً" تحقيق فكيف يجتمعان⁽¹¹⁾
ويروى أن أبا عمرو سأل أبا خيرة "أعرابي من بني عدي"
عن قولهم استأصل الله عرقاتهم فنصب أبو خيرة التاء من
عرقاتهم فقال أبو عمرو: هيات يا أبا خيرة لان جلدك!
وذلك أن أبا عمرو استضعف النصب لأنه كان قد سمعها منه
بالنصب، ومعنى قوله: لان جلدك أي صرت تلحن، وهذا

العربية، ومن ذلك ما عابه على الفرزدق لما قال: وعصّ زمان يا
بن مروان لم يدع من المال إلا مسحاً أو مُجَلَّفَ
فقال له: بم رفعت أو مجلّف، فقال له بما يسوءك وينوءك
علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا، كما عاب عليه جرّ كلمة "ريز"
وحقها الرفع حينما قال الفرزدق:

مستقبيلن شمال الشام تضربنا ... بحاصب كديف القطن منثور
على عائمنا يلقى وأرحلنا على زواحف تزجي منحها ريز
فقال إنما هو بالرفع فغضب منه الفرزدق وهجاه بقوله:
لو كان عبد الله مولى هجوتة ولكن عبد الله مولى مواليا
فقال عبد الله: عذره شر من ذنبه، فقد أخطأ أيضاً
والصواب: مولى موال⁽⁴⁾

كما مارس الحضرمي النقد اللغوي من جانب الدلالة فقام
بالشرح والتفسير أيضاً وذلك حينما حضر الفرزدق مجلس ابن
إسحاق، فقال كيف تنشده هذا البيت:

وعينان قال الله كونا فكاتنا فعولان بالألأب ما تفعل الحمر
فقال الفرزدق كذا أنشده، فقال ابن إسحاق الحضرمي: ما كان
عليك لو قلت فعولين؟ فقال الفرزدق لو شئت أن أسبّح
لسبّحت ونهض فلم يعرف أحد في المجلس قوله لو شئت أن
أسبّح لسبّحت، فقال ابن أبي إسحاق: لو قال فعولين لأخبر أن
الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد بهما يفعلان بالألأب ما تفعل
الحمر⁽⁵⁾. وكان هنا تامة، والمعنى أن الله قال لهما أحيثا فحيثا،
وكلمة "فعولان" خبر للمبتدأ "عينان"

وقد شاع التماس التخرّج لما يأتي مخالفاً لكلام العرب المطرد،
وسماه الفرزدق "التماس الحيلة" وقد عُرف عن ابن إسحاق أنه
كان يلتمس الحيلة في توجيه ما يخالف القياس في كلام العرب
المطرد.

واتبع الحضرمي تلميذه عيسى بن عمر التقفي البصري ت
149هـ في تخطئة الشعراء إن هم خالفوا أو خرجوا عن المسموع
من كلام العرب، وقد كان يقول: قد أساء النابغة في قوله:
فبت كأي ساورتي ضيئة من الرقش في أنيابها السم نافع
وكان عليه أن يقول: السم نافعا وهو يزعم إلى النصب فيما
اختلف فيه العرب⁽⁶⁾

ومن العلماء الذي كان لهم نقد لغوي عبد الملك بن قريب
الأصمعي ت 216هـ له العديد من الآراء رفعته إلى مصاف النقاد،
ومما جاء عنه أنه كان ينكر كلمة زوجة ويقولها زوج ويحتج بقوله

ثم تحدث عن عن علماء البصرة الأوائل وعن بعض أعمالهم كأبي الأسود الدؤلي ويحيى بن عمر وميمون الأقرن وعنبسة الغيل وعبد الله بن إسحاق الحضرمي و.....

كما أخبر أن أبا عمرو بن العلاء كان أشدّ تسليماً للعرب وكان الحضرمي وعيسى بن عمر يطعنان على العرب ثم ذكر طريقة عمله في كتابه فقال ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء "ثم ذكر المقياس المعول عليه في معرفة الشعر المنحول وهو الرجوع إلى الرواة الثقات ومن له علم بأخبار الشعراء والشعر، ثم تحدث عن قلة الشعر الذي وصل إلينا وبعدها تعرض للأوائل الشعر والشعراء وأول من جمع أشعار العرب هو حماد الراوية وكان غير موثوق به ينحل الشعر، ثم قام بتقسيم الشعراء الجاهليين إلى عشر طبقات كل طبقة تجمع أربعة شعراء ثم طبقة بعد العشرة وهم أصحاب المراثي ثم شعراء أهل القرى العربية وبعدها عرض شعراء الإسلام وقسمهم إلى عشر طبقات، وأورد ابن سلام شروطاً للنقاد وإن لم يسمها شروطاً وهي:

- العلم والمعرفة بفن الشعر: وهو أول ما بدأ به حديثه حيث قال: وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما يتقنه العين ومنها ما يتقنه الأذن ومنها ما يتقنه اليد ومنها ما يتقنه اللسان ص 26 / 25

ومن القضايا النقدية التي تعرض لها وهي الرجوع إلى أهل العلم والمعرفة في فن الشعر لأنهم أعرف الناس به ويقضايه فهم مثل الصراف يعرف جيداً الدراهم والدنانير من رديئها فقال: قال قائل لخلف: إذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك، فقال له: إذا أخذت أنت درهماً فاستحسنته فقال لك الصراف إنه رديء هل ينفعك استحسانك له؟

وعلى هذا الأساس يُعرف الشعر الحقيقي من المنحول وعلى كل من يروي الأشعار أن يكون على علم بها وبأصحابها، ولذلك عاب على محمد بن إسحاق استشاده بالشعر لرجال لم يقولوا شعراً قط، ونقل الناس عنه ذلك فأفسد الشعر وهجته، وهو هنا يقرر قاعدة مهمة في نسبة الشعر لأصحابه وهي قاعدة أساسية في النقد اللغوي قال: وكان ممن هجن الشعر وأفسده وحمل كل غناء محمد بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسيرة فنقل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها

مصطلح شائع في زمانه للدلالة على الابتعاد عن الفصاحة كما شاع مصطلح فلان جرمقاني وفلان ليس بحجة ... إلى غير ذلك من المصطلحات الدالة على الابتعاد عن الفصاحة وعدم الاحتجاج بقول من كان كذلك.

وقد وضع الأصمعي مواصفات للشاعر الفحل في قرض الشعر فقال: "لا يصير الشاعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزاناً له على قوله والنحو ليصلح به لسانه، وليقوم به إعرابه والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم" (12)

والنقد يسير وراء أي إنتاج أدبي أو لغوي أو فكري فلم يكن النقد إلا بوجود الإبداع الأدبي، وما يميز النقد قبل ابن سلام الجمعي أنه نقد شفوي تناقله رواة اللغة والأدب جيلاً بعد جيل مع القصائد والأخبار والأنساب، وقد استفاد ابن سلام في تأليف كتابه طبقات الشعراء من آراء سابقه ومعاصريه وكانت تلك الآراء والملاحظات هي نواة عمله والمادة الخام التي قام بتحصيلها وتحقيقها وأضاف إليها وصبغها بصيغة البحث العلمي وسلكها في كتاب خاص هو خلاصة ما قيل إلى عهده في أشعار الجاهلية الإسلام.

ويقصد بطبقات فحول الشعراء أي أنهم نظراء ومتساوون في الرتبة والمنزلة، والفحل من الشعراء هو المفضل والبارز والمتميز والمتفوق في نظم الشعر.

لقد كانت الأفكار في النقد مبعثرة لا يربطها رابط حتى جاء ابن سلام فضم أشناتيا، وألف بين المتنشابه منها بروح علمي قوي، وكتابه طبقات الشعراء من أقدم وثائق النقد المدونة حوى العديد من آراء العلماء والأدباء، انتفع بها جميع من جاء بعده واهتم بقضايا النقد، ومن أهم الأفكار التي أودعها ابن سلام في كتابه هذا مايلي: تحدث عن صناعة الشعر وقال إن الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم وعاب على محمد بن إسحاق مولى آل مخزومة بن عبد المطلب أنه نقل أشعاراً لا علم له بها ونقل الناس عنه، وكتب في السير أشعاراً لرجال لم يقولوا شعراً قط، ثم تحدث عن سبق البصريين إلى العلم باللغة والنحو فيقول: وكان لأهل البصرة في العربية قدمة بالنحو وبلغات العرب والغريب عناية

بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال "ص39.

ويرى طه حسين أن تفوق صنّاع الشعر هو الذي صعب على نقاد الشعر أن يعرفوا ما وضعه أهل البادية من أولاد الشعراء، أو من غير أولادهم فيقول: "فلم يكن صنّاع الشعر جميعاً ضعافاً ولا محققين، بل كان منهم ذو البصيرة النافذة والفؤاد الذكي والطبع اللطيف، فكان يجيد الشعر ويحسن تكلفه ونحله، وكان فطناً يجتهد في إخفاء صنعتته، وبوفق من ذلك للشئ الكثير" (15)

كما يرى أن للعصبة القبلية دور بارز في انتحال الشعر فبعدما قدم قصصاً عن الحروب بين القبائل العربية قال: "ثم اطمأنت العرب في الأمصار أيام بني أمية، وراجعت شعرها، فإذا قد ضاع أكثره وإذا أقله قد بقي، وهي بعد في حاجة إلى الشعر تُقدّمه وقوداً لهذه العصبة المضطربة، فاستكثر من الشعر، وقالت منه القصائد الطوال وغير الطوال، ونحلتها شعراءها القدماء" (16)

ويقدم ابن سلام نموذجاً عن الشعر الموضوع فيقول: أخبرني أبو عبيدة أن داود بن مقيم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي في الجلب والميرة فنزل النحيت فأثنته أنا وابن نوح فسألناه عن شعر أبيه مقيم وقمنا له بحاجته وكفيناه ضيعته فلما فُذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا وإذا كلام دون كلام مقيم، وإذا هو يحتذي على كلام فيذكر المواضع التي ذكرها مقيم والوقائع التي شهد بها فلما تولى ذلك علمنا أنه يفتعله" فهذا الإمتحان الذي وقع لابن مقيم بن نويرة من عالمين بفنون الشعر جعلها يكتشفان وضع وانتحال ولد ابن مقيم واحتدائه لأسلوب والده، ورغم محاولته تلك إلا أنها عرفت أن ما يقوله هو له وينسب لوالده، فهذا محاولة تدليس مكشوفة أمام عالمين بخبايا الشعر وأصحابه ومنه كان مقيم بن نويرة وحماد الراوية من المتزيدين في الشعر، والطول في القصائد والكثرة في شعر المنسوب للشاعر مؤشراً وعلامة دالة على انتحال الشعر.

قال الأستاذ طه أحمد إبراهيم: "أراد أي ابن سلام - أن يحمل الذين يدنون الشعر على التتقية ويدعوهم ألا يتركوا للخلف إلا الثابت الصحيح، وأراد أن يُشعر الآتين بما يجب عليهم من الحذر والتبصّر فيما يسند إلى الجاهليين، أراد خدمة الروح العلمية بإسناد كل قول إلى صاحبه، وكل شعر إلى عصره" (17)

ويقول لا علم لي بالشعر إنما أوتي به فأحملة ولم يكن ذلك له عذراً فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط وأشعار النساء فضلاً عن أشعار الرجال ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمود، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ ألوف من السنين والله يقول "وأنه أهلك عاد الأولى وثمود فما أبقى"، وهنا نبه على أمرهم وهو معرفة راوي الشعر والمدة بين الراوي والقائل والطريقة التي وصل بها الشعر إلى الراوي (13)

وبعد هذا يرد على ابن اسحاق هذا الشعر ويبرهن على فساد ما قام به فيستدل بآيات من القرآن الكريم تبين أن القوم المنسوب إليهم قول الشعر قد أهلكهم الله، قال الله عادٍ فهل ترى من باقية " ثم يوضح أن أول من تكلم بالعربية هو إسماعيل بن إبراهيم ثم يسوق روايات تثبت صحة ما ذهب إليه يقول أخبرني يونس عن أبي عمرو قال العرب كلها ولد إسماعيل إلا جحير وبقايا جرهم وقال عمرو بن علاء مالسان حمير بلساننا ولا عربيتهم بعريتنا.

انتحال الشعر وسببه:

شاعت ظاهرة انتحال الشعر قديماً، ومعنى انتحال الشعر هو وضع قصيدة ما أويبت من الأبيات وإسناد ذلك لغير قائله (14) كأن ينسبها لنفسه أو لأخيه أو أبيه أو لأي شخص يريد غرض من الأغراض، وهذه المسألة تفتن لها ابن سلام فأخبر عنها لأن أولى مراحل النقد أن تنسب الشعر لقائله، ثم تفهم معناه، وبعد ذلك تنظر في جملة وتراكيبه وفنياته ليسهل بعد ذلك إصدار الحكم المناسب، قال ابن سلام: فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها وماثرها استقلت بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار " فالسبب في انتحال الشعر كما يرى ابن سلام هو قلة شعر بعض القبائل، والشعر ديوان العرب حامل لأيامهم وأنسابهم وأحسابهم ووقائعهم فقالوا أشعاراً ونسبوا لشعرائهم رغبة منهم في مضاهاة غيرهم ونقل الرواة تلك الأشعار الموضوعة دون نقد أو تمحيص فشاعت نسبتها إلى من نسبت له، وبين ابن سلام أن ذلك كان معروفاً لدى أهل العلم من الشعراء والرواة الثقة وأن ذلك لم يكن بالأمر الصعب أو المشكل وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل

تصحيح السند:

تفطن ابن سلام إلى مسألة تحقيق النصوص والتثبت منها فقام بتصحيح سند الأخبار والأشعار فيقول مثلاً: أخبرني أبو قيس العنبري - ولم أر بدويًا يزيد عليه - عن عكرمة بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبة من أشعر الناس؟ قال: أعن الجاهلية تسألني أم عن أهل الإسلام؟ قلت: ما أردت إلا الإسلام فإذا ذكرت أهل الجاهلية فأخبرني عن أهلها، قال: زهير شاعرها، قلت: فالإسلام؟ قال: الرزق نبعة الشعر، قلت: فالأخطل؟ قال: يجيد مدح الملوك، ويصيب صفة الخمر، قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: دعني فإنني نخرت الشعر نخرًا ص 64.

وأغلب الشعر الوارد في طبقات الجمحي مسند مباشرة إلى أصحابه، أما الذي تناول الجمحي إسنادَه بالتصحيح فهو على ثلاثة أنواع: 1- صحة إسناد ما اختلف رواته واجتمعوا عليه خلال مقابلة الجمحي للأسانيد 2- أما النوع الثاني فأقل درجة في الإسناد إذ يكفي الجمحي برفع الشعر إلى راوٍ واحد يسوق بعده الشعر المقصود تصدر سند تلك الأشعار عبارات مثل "أنشدني له" أو "أنشدنيها" أو "سمعت فلانًا ينشد" 3- النوع الثالث ضعيف الإسناد يُرفع إلى عام الناس مثل قوله: ويروي الناس لأبي سفيان بن الحارث يقول لحسان "ومما يروى من قديم الشعر قول ذؤيد بن زيد بن نهد" (18)

ومن مظاهر تصحيح السند الخاص بالأخبار نقل الخبر الواحد أحياناً عن راويين، والإشارة إلى عدالة الراوي أو تجريجه فقال مثلاً عن أبي عمرو بن العلاء: "وسمعت يونس يقول: لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد كان ينبغي لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله" ص 16

وتجريجه لمحمد بن إسحاق صاحب السيرة الذي أورد في كتابه أشعاراً لرجال ونساء لم يقولوا شعراً قط كما أورد أشعاراً لعاد وثمود ثم ردّ عليه بحجج نقليّة من القرآن الكريم ثم حجج عقلية "ذكرناها سابقاً" وبعد ذلك يعود الجمحي إلى تاريخ ميلاد الشعر العربي فيرى أنه قريب إلى عهد الإسلام فيقول: لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة، وإنما قُصّدت القصائد، وطُوّل الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن مناف "

وإذا كانت هذه المسألة كانت معروفة لدى علماء العربية وعرفوا كيف يتعاملوا معها فإننا نجد أنها في العصر الحديث قد

عادت إلى الوجود وأخذت منحي آخر وهو التشكيك في الشعر الجاهلي برمته فأثارت ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والأدبية وكان رائدها هو المستشرق البريطاني ديفيد صموئيل مرجليون من خلال بحث نشره في مجلة الجامعة الآسيوية الملكية الإنجليزية بعنوان: أصول الشعر العربي the original arabi poetry ومرجليون شكك في وجود شعر جاهلي منقول إلينا لأن الانتقال يكون بالكتابة أو الرواية الشفوية وهو يشكك في الطريقتين معاً، وتبعه طه حسين في كتابه "في الأدب الجاهلي" ورد ذلك لأسباب سياسية ودينية وأسباب تعود للشعبوية وللقصاصين وناقلي الأخبار ورواة الشعر (19).

ويرى محمد أحمد الغمراوي أنّ طه حسين فيما حاول أن يبينه من أسباب ذلك لم يزد على أن اتخذ ما قاله ابن سلام وما رواه صاحب الأغاني جرثومة تكاثرت تحت قلمه حتى غطت تلك الصفحات الكثيرة من كتابه، وكل الفرق بينهم وبينه أنهم اعتدوا وتطرفوا، واقتصدوا وأسرفوا، ووقفوا بالحمل على الجاهليين عند حد الدليل ولم يقف عند حد، فلم يجعلوا الشعر الجاهلي كله محمولاً، وهو يريد أن يجعله محمولاً كله...." (20).

أسس المفاضلة بين الشعراء: اعتمد ابن سلام في تقسيمه للشعراء إلى طبقات على مبادئ في الحكم عليهم، وهذه المبادئ هي: 1- كثرة شعر الشاعر 2- تعدد أغراضه 3- جودته، وإن كان لبعض الشعراء قصائد جيدة ولم يعرفوا بالكثرة يقدم المكثر في نظم الشعر على المجيد المقل، فقال عن الأسود بن يعفر ص 62 "وكان الأسود شاعراً فخلاً وكان يكثر التنقل في العرب يجاورهم فيذم ويحمد، وله في ذلك أشعار، وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر، لو كان شفيعاً بمثلها قدّمناه على أهل مرتبته وهي:

نام الحليّ فما أحسّ رُقادي والهُم مُحَضَّرٌ لديّ وسادي

ومن مبادئه النقدية المذكورة آنفاً تفضيله للشاعر الذي يقول في أغراض متعددة على الشاعر الذي يجيد في فن واحد، وعلى هذا وضع كثير بن عبد الرحمن الخزاعي - وهو من الشعراء الإسلاميين - وضعه في الطبقة الثانية، ووضع جميل بن مَعمر في الطبقة السادسة، وقال في معرض حديثه عن كثير "وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر، وجميل مقدّم عليه في النسيب، وله فنون في الشعر ما ليس لجميل، وكان جميل صادق الصبابة، و، كان كثير يقول ولم يكن عاشقاً" ص 168.

التفسير الأدبي:

غربي بكاي

فهرس الإحالات:

- (1)- إياد عبد المجيد إبراهيم الصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي ط 1 مؤسسة الوراق للنشر 2001/ ص 419
- (2)- أحمد أمين، النقد الأدبي، موفم للنشر 1992، ص 7.
- (3)- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص 61
- (5)- مجالس العلماء لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 3، 1999م، ص 66.
- (6)- ينظر: المدارس النحوية: خديجة الحديثي، دار الأمل للنشر والتوزيع، أريد الأردن، ط 3، ص 57
- (7)- الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة، الدكتور رحاب عكاوي، دار الفكر العربي بيروت لبنان ط 1، 1998، ص 71.
- (8)- نزهة الألباء في طبقات الأدياء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط 1، 2003م، ص 102.
- (9)- الأصمعي صاحب اللغة ص 74.
- (10)- عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط 1، 2002م، ص 28.
- (11)- المرزباني أبو عبيدة بن موسى، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق محمد علي البجاوي، دار نهضة مصر 1965 ص 286.
- (12)- الأصمعي صاحب اللغة وإمام الرواة ص 122.
- (13)- طبقات الشعراء محمد بن سلام ط 231هـ، مع تمهيد الناشر الألماني جوزف هل ودراسة عن المؤلف والكتاب للمرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2001.
- (14)- محمد عثمان علي، في أدب ما قبل الإسلام، دار الأوزاعي بيروت لبنان، 1986م، ص 75.
- (15)- في الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف ط 18، ص 155.
- (16)- في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص 130.
- (17)- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع، تأليف المرحوم الأستاذ طه أحمد إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 3، 2008، ص 75.
- (18)- ينظر: تأسيس الخطاب النقدي "أطروحة الجمحي، توفيق الزبيدي ط 1، البار البيضاء 1989، ص 16/15.
- (19)- في الأدب الجاهلي، طه حسين ص 168/116.

للقند مهمتان أساسيتان هما التفسير والحكم، وهاتان المهمتان تأنيان بعد القراءة والفهم، لأنه لا تفسير بدون فهم " ولفهم بنية عمل فلسفي أو أدبي لا مناص من تناول بنية كل واحد منها بالدرس والتحليل ومحاولة معرفة مدى التحامها وتماسك أجزائها معها كلها، ولتفسيرها فلا مندوحة من ربطها ببنية خارجية أوسع تشكل أصلها التكويني المنبثقة عنه "(21).

وفي طبقات ابن سلام نجد يقدم دائماً أراء سابقه في الحكم على الشعراء، وهي أحكام عامة فيقول مثلاً "كان أبو ذؤيب شاعراً فلا لا غمزة فيه ولا وهن، قال أبو عمرو بن العلاء: سئل حسان من أشعر الناس؟ قال: حياً أو رجلاً؟ قال: حياً، قال: أشعر الناس حياً هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب " ص 56 ويقول عن ذي الرمة: يقال إن ذا الرمة راوية راعي الإبل، ولم يكن له حظ في الهجاء ص 169.

ولعلم ابن سلام بالشعر ورجاله دور في تمحيص الأشعار فقبل ما قبل ورفض ما رفض كما استفاد من أراء سابقه ومعاصريه في نقد الشعر، ومعرفة الأصيل من المنحول فقال عن حسان بن ثابت رضي الله عنه - لما تحدث عن شعراء القرى العربية - حسان بن ثابت هو كثير الشعر جيده، وقد حُمل عليه مالم يحمل على أحد لما تعاضت قريش واستتبّت وضعوا عليه أشعارا كثيرة لا تليق به. ص 87.

وقال عن امرئ القيس: أخبرني أبان بن عثمان البجلي قال: مرّ لبيد بالكوفة في بني نهد فأتبعوه رسولاً رسولاً يسأله من أشعر الناس؟ قال الملك الضليل فأعادوا إليه قال: ثم من؟ قال الغلام القتيل غير أبان ابن العشرين يعني طرفة قال ثم من؟ قال الشيوخ أبو عقيل يعني نفسه، قال يونس كل شيء في القرآن فأتبعه أي طالبه، واتبعه يتلوه فاحتجّ لامرئ القيس من يقدمه وليس أنه قال مالم يقولوا ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعتها استحسنتها العرب واتبعه فيه الشعراء منه استيفاق صحبه والبكاء في الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض والخليل بالعقبان والعصي وقيد الأوباد وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب وبين المعنى وكان أحسن طبقته تشبيهاً ص 42.

ومن خلال هذا العمل النقدي الذي قدمه الجمحي يتبين بأنه ساهم في إرساء دعامة النقد اللغوي وقام بتأسيس رصيد مرجعي يستفيد منه كل لاحق في الأخذ والاستنباط.

- (20)- النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، محمد أحمد الغمراوي، المكتبة العربية بيروت لبنان 1981، ص 219 .
- (21)- المنهج النقدي مفهومه وأبعاده وقضاياها، د. محمد سويرقي، أفريقيا الشرق 2015، ص 54.